## 10- المسرح الشعري:

### أ/ مفهوم المسرح الشعري:

إذا كانت الآداب الغربية قد عرفت المسرحية الشعرية منذ القدم، وذلك لارتباطها بكتابات القدامى اليونانيين والرومان، فإنّ ميلادها في الأدب العربي قد جاء متأخرا، إذ لم يعرفها العرب إلا بعد حملة نابليون على مصر، أي بعد اطلاعهم على فن المسرح الغربي كتابة وتمثيلا بغض النظر عن شعريته أو نثريته.

والمسرح الشعري "هو النص المكتوب شعراً، وهو قابل للتمثيل لأن البناء الدرامي فيه يهيمن على العناصر الغنائية ويسيّرها لمصلحة التمثيل"[1]، هو الفن الذي يعتمد الشعر - بمختلف أشكاله - مادة في صناعة الحبكة الدرامية، فيستدعي بذلك "المسرح" "الشاعر" ليصبّ لغته الطافحة بالأخيلة والصور في قالب حواري مسرحي، وبذلك فالمسرح الشعري هو المنجز الذي ينتج في تخوم جامعة لما هو شعري وما هو مسرحي، فتتواشج شعرية الشعر مع العناصر الأساسية المكونة لنصية المسرح. ولأنّ الثابت فيه هو هذا التمازج الفني الحاصل والتصالب الجمالي الجامع فقد أخذ هذا الفن تسميات عدة، لكنّها جاءت بدلالات متقاربة لا تنأى عن بعضها البعض دلاليا، ومن هذه التسميات أذكر: "المسرح الشعري، الدراما الشعرية، الشعر الدرامي، المسرحية الشعرية".

وفي هذا المساق يجب الإقرار بأنّ حضور الشعر في النص المسرحي"ليس مجرد لغة أو وسيلة لغوية يطوعها الشاعر لمقتضيات مسرحيته من شخصيات ومواقف إلخ. وإنّما ينبع الشعر أساسا من (التصوّر الدرامي) الذي يتعهده الفنان حتى ينضج ويتبلور في صورته النهائية"[2]، وهو ما عبر عنه "إليوت" بما اصطلح عليه بـ (وحدة الحدس الفني) في النص الشعري/المسرحي الجامع. وهو ما يقودنا إلى القول بأنّه وبالرغم من المزج الفني الحاصل بين ما هو مسرحي وما هو شعري إلا أن دراسته ليست "دراسة ذات شقين كما يبدو لأوّل وهلة، فهي ليست دراسة للدراما أولا، ثمّ للشعر ثانيا أو العكس، وإنّما هي

---

[1]- خليل الموسى، المسرحية في الأدب العربي الحديث - تأريخ/ تنظير/ تحليل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق - سوريا، ط1 1997. ص: 03.

[2]- محمد عناني، دراسات في المسرح والشعر. ص: 27.

دراسة للدراما الشعرية بصفتها (دراما شعرية) أي نوع أدبي مستقل لا تنفصل فيه الدراما بكلّ خصائصها عن الشعر بكلّ خصائصه"[1].

يرجع النقاد ظهور المسرح الشعري في الساحة الأدبية العربية إلى "إبراهيم الأحدب من خلال مؤلفه (التحفة الرشدية- 1868) وخليل اليازجي في (المروءة والوفاء) و(الفرج بعد الضيق) 1876 و(الخنساء أو كيد النساء-1877)، وهما الاسمان اللذان عدّا من أوائل الذين نظموا المسرحيات الشعرية في اللغة العربية"[2]، إلّا أنّ التركيز على اللّغة ونظم الألفاظ وسبك العبارات من طرف المبدعين جعلت النصوص ضعيفة الحبكة قاصرة من الناحية الفنية. وبعد الأحدب واليازجي بأربعة عشر سنة ظهرت كتابات أبو خليل القباني الذي أفاد من تجربة سابقيه فمزج في نصوصه مع النثر المسجوع شيئا من الشعر، فجاءت مسرحياته التي حاولت تخييل التاريخ الإسلامي أكثر سبكا، وأقلّ حشوا، ومرصعة في الوقت نفسه بكثير من المقطوعات الغنائية، هذا إن قارناها بنصوص الأحدب واليازجي لكن بالنظر إلى نصوص اللاحقين فيمكن الجزم بأنها أقلّ فنية وأوهن معمارا.

وبعد هذه النصوص توالت الأعمال مستفيدة من بعضها البعض بشكل لافت، يعدّد الدكتور خليل موسى منها من "لبنان مسرحيات الخوري بطرس (استير)، وقيصر المعلوف (نيرون- 1892)، وأمين ظاهر خير الله (البيان الصراح في نذر يفتاح 1923)، ويوحنا حداد (إبليس)، ويوحنا البشعلاني (الأسيرة -1903)، وحنا طنوس (أمير لبنان وكسرى 1914) و (البطل الأخرس -1906) ورشيد الحاج عطية (تبرئة المتهم 1891)، وعيسى اسكندر المعلوف (جزاء المعروف أو جابر عثرات الكرام) وأمين آل ناصر الدين (جزاء الخيانة 1908) وإلياس عطا الله (شهداء الغرام-1901) وسعيد عقل (بنت يفتاح 1935- قدموس 1945). وفي سورية مسرحيات نسيب عريضة (ديك الجن الحمصي 1921)، وعمر أبو ريشة (ذي قار 1932)، وبدر الدين الحامد (ميسلون)، ومسرحيات عدنان مردم

---

[1]- محمد عناني، دراسات في المسرح والشعر. ص: 28.

[2]- ينظر: خليل الموسى، المسرحية في الأدب العربي الحديث. ص: 43.

(غادة أفاميا 1967 – العباسة 1968، الملكة زنوبيا 1969، الحلاج 1971 – رابعة العدوية 1972، مصرع غرناطة 1973، فلسطين الثائرة 1974"[1].

وبالرغم من هذه الأسماء وهذه النصوص إلا أنّ أعمال أمير الشعراء "أحمد شوقي" تعدّ من أفضل الأعمال في هذا الباب، وإليها يرجع القول بالنضج والاكتمال، فمرحلته هي المرحلة الذهبية للمسرح الشعري العربي، وبخاصة حين توجّه إلى إعادة إنتاج التاريخ.

لقد تأثر "شوقي" بكل الكتابات المسرحية الرائدة: "فلم يتقيد بتيّار خاص ولا بمذهب معين، بل جمع بين الشرق والغرب وبين مذاهب الأدب المختلفة"[2] من أولى إبداعاته الدرامية "علي بك الكبير" التي كتبها في باريس، لتكون بذلك نتاجات "الأمير" المسرحية الشعرية بمثابة فاتحة الإبداع الفني في هذا المجال، والمحفّز القوي للكتابة في هذا الفن بعده ممن مثل الجيل الثاني[*]/المعاصر في كتابة المسرح الشعري.

## ب/ خصائص المسرح الشعري:

- يتحكم الإيقاع في التشكيلات اللّغوية، وفي انتقاء الكلمات، وبناء التراكيب الحوارية، لأنّ التفعيلة الشعرية هي المتحكم في كلّ الحركات التي تؤدّيها اللّغة.
- اعتماد التكثيف الدلالي في بناء مضامين المسرح الشعري.
- بروز القيمة الأخلاقية.
- النزوع إلى القيم الدينية والوطنية.
- اعتماد الرمز في بناء دلالات النص.
- العودة إلى التاريخ واستلهام التراث الديني والأدبي للتعبير عن القضايا الحديثة والمعاصرة.
- التعبير عن دواخل الذات بقوة تمنحها سلطة الشعر بتوليفاته الشعورية ومرونة المسرح بحواراته الموفرة للمساحات اللغوية التقابلية المشجعة على فعل البوح.

---

[1]– ينظر: خليل الموسى، المسرحية في الأدب العربي الحديث. ص ص: 44/43.

[2]– محمد مندور، مسرحيات شوقي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة – مصر، ط3 (د ت). ص : 30.

[*]– هناك من يقسّم الكتابات المسرحية الشعرية إلى قسمين (التقليدية / المعاصرة)، ويفرد لكلّ منهما خصائص بنيوية وأخرى مضمونية للمزيد ينظر: خليل الموسى، المسرحية في الأدب العربي الحديث. ص: 43 وما بعدها.

- تأثيث المجرّد والتعبير عنه بالمحسوس سواء باستخدام صور شعرية جزئية أو أخرى كلية.
- صعوبة التجسيد على خشبة المسرح

**ج/ أعلامه:**

على الباحث في هذا المجال من الكتابة الإبداعية أن يعترف "بندرة الكتابات العربية الشعرية مقارنة بحضور النص المسرحي النثري، وذلك ما جعل أسماء معينة تربو في فضاء المسرح الشعري وتتفرّد بالكتابة فيه"[1]، ومنهم نذكر:

- **أحمد شوقي**

لقد استنفر أحمد شوقي (1868- 1932) موهبته الشعرية لكتابة المسرح الشعري في السنوات الخمس الأخيرة من عطائه، وذلك بعد أن وصلته الكثير من الهتافات القائلة باستحالة قولبة الشعر بشاكلة نصية مسرحية، وأنّ الشعر العربي لا يمكنه أبدا أن يخرج عن عموده المتعارف عليه، فنجح أمير الشعراء في تغيير الآراء، مقدّما الكثير من المسرحيات الراقية فنيا والطافحة شعرية، أذكر منها: "مصرع كليوباترا، قمبيز، علي بك الكبير، مجنون ليلى، عنترة، أميرة الأندلس" وهي نصوص استلهم مادتها من التراث والتاريخ.

- **صلاح عبد الصبور**

بعد ما يقارب الثلاثين عاما من هجران المسرح الشعري بعد أحمد شوقي، عاد صلاح عبد الصبور (1931-1981) إلى الخزانة السردية العربية ليستقي مادة مسرحياته الشعرية الخمس "مأساة الحلاج" (1964)، "مسافر ليل"(1968)، "الأميرة تنتظر"(1969)، "ليلى والمجنون"(1971)، "بعد أن يموت الملك" (1975)، وقد استطاع في هذه الأعمال أن يطبع نصوصه بطابع حداثي استمده مما تقدّمه قصيدة التفعيلة من حرية عروضية، وسهولة في النسج، لتتشاكل مع طبيعة النص المسرحي الحوارية.

---

[1]- عبدالله أبو هيف، المسرح العربي المعاصر – قضايا ورؤى وتجارب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا، ط1، 2002. ص: 293

تُعد نصوص "عبد الصبور" المسرحية من أروع المنجزات التي عرفها الديوان العربي الدرامي المتأخر، وهي نصوص ذات أبعاد سياسية واجتماعية عميقة، قد يصعب تجسيدها على خشبة المسرح لأخذها طابعا ذهنيا إلا أنّها جاءت ثرية بالصور، مفعمة بالموسيقى، متلونة بكل ألوان النقد والسخرية الهادفين.

- **فاروق جويدة:**

من الأصوات الشعرية المصرية المعاصرة (1946)، نظم الشعر بكلّ ألوانه، وفي مختلف الأغراض، قدّم للمكتبة العربية ما يقارب عشرين عملا، منها ثلاث مسرحيات شعرية، كان لها صدى كبيرا لدى جمهور القراءة، هي: "الوزير العاشق" و"دماء على ستار الكعبة" و"الخديوي".

- **علي أحمد باكثير:**

توزعت نتاجات باكثير (1910-1969) بين الرواية والمسرحية الشعرية والنثرية، فهو واحد من أعمدة الأدب المعاصرين، الذين خلّفو وراءهم نتاجات وطنت أسماءهم وحفظتها لأنّها استحقت أن تقرأ ولا زالت.

وفي سياق الحديث عن مسرحه الشعري، نجد أنّ باكثير بعد تأثره الكبير بأمير الشعراء، نحى نحوه فألّف الكثير من الأعمال على اختلاف موضوعاتها وأحجامها، ولعلّ أبرزها: "إخناتون ونفرتيتي" والتي ألفت في أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين، "من فوق سبع سماوات"، "وهكذا لقي الله عمر" "عودة الفردوس"، "شيلوك الجديد" وهي المسرحية التي تناول فيها القضية الفلسطينية، وبعدها "سأبقى في البيت الأبيض" ثمّ "إمبراطورية في المزاد"، وغيرها من النصوص الكثيرة التي انتظمت جميعها وفق رؤيا دينية إسلامية ملتزمة، إلى جانب فرادتها الإبداعية وصدقها وأصالتها.

- **عبد الرحمن الشرقاوي:**

الشرقاوي (1920-1978) شاعر وأديب ومؤلف مسرحي مصري، عرفت كتاباته المسرحية الشعرية بطابعها الثوري التحرري من مختلف أشكال الاستعمار ومن كافة مظاهر الاستعباد، أذكر منها:

* "الأسير" وهي مسرحية بدلالات إنسانية عميقة، كتبها دفاعا عن كلّ المظلومين والمضطهدين.

* "مأساة جميلة" كتبت ضد الاستعمار الفرنسي

* "الفتى مهران" دافع فيها الشاعر عن مبادئ الاشتراكية.

* "تمثال الحرية" دافع فيها عن حقوق الإنسان.

* "وطني عكا" خلّد هذا النص كفاح الفلسطينيين ضدّ الكيان المغتصب.

* "النسر الأحمر" أعاد في هذا النص تمثّل تاريخ "صلاح الدين الأيوبي" ضدّ الصليبيين، ليدلّل به على الحاصل اليوم من جبن ونكوص عن القيم الحقيقية والمثلى للحياة الكريمة.

- **معد الجبوري** (1946–2017):

شاعر عراقي عرف في الساحة العربية نهاية الستينيات من القرن الماضي، مثّل العراق في الكثير من المحافل الأدبية الدولية، حاز على الكثير من الجوائز والأوسمة، ترجمت أعماله إلى كثير من لغات العالم منها : الإسبانية، الفرنسية، الإنجليزية، الألمانية ... كتب أربع مسرحيات شعرية جمعت تحت عنوان "فضاء بين جمرتين".